عنوان المقالة : إشكالية الحداثة في النقد العربي المعاصر

مراكشي لامية–جامعة المسيلة–الجزائر

ملخص :

أسعى من خلال هذه المقالة إلى التوقف بالقراءة والتحليل على بعض مفاهيم الحداثة ، وذلك راجع إلى تشابك هذا المصطلح مع كثير من المصطلحات المتداولة كالتحديث وما قبل الحداثة والحداثة البعدية، والحداثوية . هذه القضية ظهرت وتطوّرت في الغرب اصطلاحًا ومفهومًا ونشأةً وبعدها أثرت هذه المفاهيم في الفكر العربي الحديث.

وانطلاقًا من هذه الاعتبارات المنهجية، سأحاول تقديم بعض الملاحظات النظرية والحقائق التاريخية الدالة على مفهومها ، كما تجلت في الغرب أوّلا بحكم بداية نشوءها هناك وكما وجدت صداها في الفكر العربي وذلك بهدف التخلّصْ من التطابق الكلّي الوهمي بين المفهوم من جهة وتجسيداته التّاريخية في الغرب من جهّة أخرى.

من أجل تأصيل مفهوم الحداثة لا بدّ من استقراء أقوال منشئيها ودعاتها الغربيين ، ومن ثم الانتقال إلى بيان مفهومها عند أتباعها في العالم العربي لأنّ الحداثة في العالم العربي ما هي إلاّ امتداد للحداثة في العالم الغربي.

ثم إبراز أهم المشكلات التي واجهت الحداثة والقيام بذكر بعض الأمثلة والنّماذج من أقوال الحداثيين في العالم العربي، ومن خلالها تتحدّد المفاهيم الحداثية الفكرية عندهم، وتأكيد التطابق في أكثر مفاهيمها مع المفهوم الغربي.

Résumé:

Je cherche à travers cet article pour arrêter la lecture et l'analyse sur certains des concepts de la modernité, et il est dû à la complexité de ce terme avec beaucoup de la terminologie échangé Kalthadit et pré-modernité et de la modernité a posteriori, et moderniste. Ce problème est apparu et a évolué dans l'Ouest et idiomatique concept et les origines et plus tard influencé ces concepts dans la pensée arabe moderne.
Sur la base de ces considérations méthodologiques, je vais essayer de donner quelques faits historiques de la théorie des observations fonctionnent sur son concept, comme le montre l'Occident, d'abord en raison du début de son émergence là et également trouvé un écho dans la pensée arabe afin de se débarrasser du placebo de congruence totale entre le concept de l'historique, Tjsadath en Occident, d'autre part .

Afin de consolider le concept de la modernité doit être extrapolée énonciations fondateurs Occidentaux et leurs défenseurs, et de passer ensuite à la déclaration du concept lorsque ses adeptes dans le monde arabe en raison de la modernité dans le monde arabe est une extension de la modernité dans le monde occidental.

Ensuite, mettre en évidence les principaux problèmes rencontrés par la modernité et pour ne citer que quelques exemples et modèles des paroles des modernistes dans le monde arabe, et qui est déterminé par les concepts intellectuels modernistes ont, et la confirmation de la congruence dans des concepts plus avec le concept occidental

ظهر في العالم العربي تيار غريب، كان كالصاعقة على رأسه، فزلزل كيانه وأصابه بالدوار عرف هذا التيار باسم "الحداثة " فأصبحنا اليوم نقرأ مقالات وكتب كثيرة تطالب بالثورة على التراث وضرورة تجاوز السائد والمألوف، والتمرد على ما هو سابق ومعروف، وهدم الماضي الموروث .

والوسائل التي تبنت الحداثة كثيرة، ، لكننا لا نجد كتابات مخصصة لدراسة الحداثة ، كما أننا لا نجد دراسات تفرق بين مصطلح الحداثة ومصطلحات كثيرة كالتحديث، ما قبل الحداثة، الحداثة البعدية، والحداثوية ولهذا كثر التساؤل حول أمر الحداثة، فما هي الحداثة ؟

ومن هنا جاءت أهمية دراسة إشكالية الحداثة **في النقد العربي المعاصر** لتكشف عن ماهية الدراسة

ومن ثم فقد رأيت أن يكون بحثي هذا **إشكالية الحداثة في النقد العربي المعاصر** أتتبع فيه أقوال النقاد الحداثيين الغرب والعرب وتنظيراتهم لأصل إلى حقيقة الحداثة والفرق بينها وبين الحداثة الغربية ومدى تأثر الحداثة العربية بالحداثة الغربية .

يعد مصطلح الحداثة من أشد المصطلحات إثارة للجدل ومن أشد الظواهر النقدية التي تعنى بالبحث والتقصي . كانت الرغبة في فهم مسألة الحداثة، [1]لأنها كمصطلح ومفهوم وإجراء ما تزال بحاجة إلى دراسة،

الحداثة هي «ذلك الوعي الجديد بمتغيّرات الحياة والمستجدات الحضارية والإنسلاخ من أغلال الماضي، والانعتاق من هيمنة الأسلاف.وهي ليست ظاهرة مقصورة على فئة، أو طائفة، أو جنس بعينه بل هي استجابة حضارية للقفز على الثّوابت».

يقول في هذا المقام **عبد السّلام المسدّي:** «إنّ كلمة الحداثة تجري مجرى الدّال المتعدد الوجهات طبق تعدّد صوره اللّغوية القائمة في أذهان المستعملين... وأمّا من جهة المعنى فإنّ الحداثة كثيرًا ما تشحن تضمينات

---

[1] حمد يوسف الزّومي: الحداثة والتحديث، مجلّة عالم الفكر، د.ط، الكويت، وكيل الوزراء المساعد لشؤون الثّقافة والصّحافة والرّقابة، وزارة الأعلام، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر 1988م، المجلد التاسع عشر، العدد الثالث، ص 06.

تجعلها دالاً واحدًا حاملاً لمدلولات متعددة، وهذا التعدّد بعضه من باب التنوّع وبعضه من باب الاختلاف ولكن بعضه الآخر من باب التضارب بحيث تتقابل فيه المقاصد تقابلاً متعاكسًا»[1].

وهكذا أصبح مصطلح الحداثة- حسب **عبد السّلام المسدّي**- من أشدّ المصطلحات إثارة للجدل ومن أشدّ الظّواهر النّقدية التي تُعنى بالبحث والتقصّي وهذا راجع إلى تنوّع مفاهيمه وغزارة تعريفاته.

وهذا ما يجعل الباحث يتبع المنهج المعرفي التّاريخي لتناول موضوع الحداثة وذلك بالنّظر إلى القضية كما ظهرت وتطوّرت في الغرب اصطلاحًا ومفهومًا ونشأةً وبعدها تأثير هذه المفاهيم في الفكر العربي الحديث.

وهذا ما يضع الباحث في مواجهة مشكلة منهجية عند محاولة بحثه عن تعريف عام للحداثة فإنّه يكون انتقائيًا، فقد يُبرز أشياء، ويُهمل أشياء أخرى .

ويقول **محمّد برّادة:** «الحداثة مفهوم مرتبط أساسًا بالحضارة الغربية، وبسياقاتها التّاريخية، وما أفرزته تجاربها في مجالات مختلفة... إنّ الحديث عن حداثة عربية مشروط تاريخيًّا بوجود سابق للحداثة الغربية، وبامتداد قنوات للتواصل بين الثّقافتين»[2]. وكما وجدت صداها في الفكر العربي وذلك بهدف التخلّصْ من التطابق « الكلّي الوهمي بين المفهوم من جهة وتجسيداته التّاريخية في الغرب من جهّة أخرى»[3]. وبغرض رصد تأثير هذه المفاهيم والأفكار على الفكر العربي.

ومن أجل تأصيل مفهوم الحداثة لا بدّ من استقراء أقوال منشئيها ودعاتها الغربيين، ومن ثم الانتقال إلى بيان مفهومها عند أتباعها في العالم العربي لأنّ الحداثة في العالم العربي ما هي إلاّ امتداد للحداثة في العالم الغربي.

إنّ الحداثة عند الغربيين تعني حتمية الصّراع مع القديم، وبالتّالي رفضه وضرورة التحوّل إلى فكر جديد يقوم على أنقاض القديم ويختلف معه في المضمون، ثمّ تأتي المرحلة الزّمنية التي بعد هذه المرحلة فتتغيّر وتتطوّر المفاهيم لتناسب العصر الجديد، وهكذا فالمبادئ في تطوّر مستمر ولكلّ زمن وعصر حداثته [4].

---

[1] عبد السّلام المسدّي: النقد والحداثة، ط1، بيروت، دار الطّليعة، 1983م، ص 07، 08.

[2] جمال شحيدّ، وليد قصّاب: خطاب الحداثة في الأدب، الأصول والمرجعية، ط1، دمشق، دار الفكر، 1426هـ، 2005م، ص 105.

[3] أحسن بشّاني: خطاب الحداثة في الفكر الفلسفي العربي المعاصر وإشكالية الخصوصية والعالمية، ص 71.

[4] محمّد بن عبد العزيز بن أحمد العلي: الحداثة في العالم العربي- دراسة عَقدية-، بحث أعدّ لنيل درجة الدّكتوراه، كلية أصول الدّين بالرّياض، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، 1414هـ، م1، ص 125.

يرى النّاقد الرّوماني "**جورجي كالنيسكو**" في معرض حديثه عن المعالم الكبرى المحدّدة للحداثة: أن الحداثة الغربية في جوهرها ظاهرة تعكس معارضة جدلية، ثلاثية الأبعاد: معارضة للتراث، ومعارضة للثّقافة البرجوازية بمبادئها العقلانية والنّفعية، وتصوّرها لفكرة التقدّم، ومعارضة لذاتها، كتقليد، أو شكلٍ من أشكال السّلطة أو الهيمنة. أي أنّها لا تمثّل انفصالاً عن الماضي ، أو ثورة على القيم البرجوازية السّائدة فحسب، بل تمثّل ثورة دائمة في تطلعها المستمر إلى قيم جديدة، وأشكال أو أساليب تعبيرية جديدة [1].

أي أنّ أهّم مرتكزات الحداثة هي تدميرها للأشكال الثّابتة(التراث، الانفصال عن الماضي).

وهذا ما وضّحه النّاقد الحداثي **(إفرنج هاو)** في قوله عن الحداثة: «إنّ عليها أن تكافح دائمًا، ولكن بدون أن تنتصر تمامًا، بل عليها أن تكافح من أجل ألاتنتصر، إذ أنّ انتصارها معناه أن تفقد سمة الحداثة، وذلك بتكوين أسلوب أو تقليد ثابت لها، تلتزم به وتسير عليه»[2].

ويقول "**فرانك كيرمود**": «إنّها **(أي الحداثة)** لا تعيد صياغة الشّكل، بل تأخذ الفنّ إلى ظلمات الفوضى واليأس»[3].وترتكن إلى الفوضى وتشغف بالغموض، وتأنس بالالتباس[4].

ويرى الحداثي الفرنسي "**شارل بودلير**" أنّ الحداثة ما هو عابر سريع الزّوال [5].

يقول الدّكتور "**القعود**" معلّقًا على هذا التوجّه: «فهذا العبور السّريع... ليس سوى اللّحظة التي لا تستقّر ولا تدوم، وإذا دخلت اللّحظة في مفهوم الحداثة عزلتها عن زمن غير زمنها (الحاضر)... وعن الماضي والمستقبل معًا. فالحداثة على هذا، هي زمن اللّحظة، هي منتج الحاضر بشكل متسارع متجاوز حتّى للحداثة نفسها...»[6].

ويقول "**بودلير**" أيضًا في مقالته الأصلية "**رسّام الحياة الحديثة**" **(الصّادرة عام 1963م)**: «إنّ الحداثة هي المؤقت، وسريع الزّوال والجائز، هي نصف الفنّ، بينما الأبدي والثّابت هو النّصف الآخر»[1].

---

[1] لطفي فكري محمّد الجودي: نقد خطاب الحداثة في مرجعيات التنظير العربي للنّقد الحديث (قراءة في تجربة الدّكتور عبد العزيز حمودة: "المرايا المحّدبة، المرايا المقعّرة، الخروج من التيه نموذجًا")، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 1432هـ- 2011م ، ص 46 .

[2] المرجع نفسه، ، ص 46 - 47.

[3] محمّد بن عبد العزيز بن أحمد العلي: الحداثة في العالم العربي- دراسة عَقدية - ، ص 131.

[4] لطفي فكري محمّد الجودي: نقد خطاب الحداثة في مرجعيات التنظير العربي للنّقد الحديث، ص 47 .

[5] المرجع نفسه، ص 48.

[6] المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها.

أمّا "**روبرت موتسيل**" يعرّف الحداثة فيقول: «هي بعث الإنسان الكامل الجديد، إنسان العصر، انطلاقًا من صورة إنسان تزول عنه كلّ ملامح التّاريخ والحضارات»[2].

والحداثة عند "**مالكم برادبري**"، هي: «حركة عبثية، تدعو إلى الثّورة على كلّ ما هو متواصل وسائد، سواءً من أمور العقيدة أم من غيرها من شؤون الحياة، فلا ثوابت هناك، بل كلّ شيء متغيّر ومتقلّب من عصر إلى عصر، فلكلّ عصرٍ عقيدته وفكره وأخلاقه.

«في الواقع إنّ هذه الاتجاهات الفنّية تتضمّن تحطيم كلّ ما هو إنساني، إنّها هدم تقدّمي لكلّ القيم التي كانت سائدة...، على حدّ قول (أورتيكا كاسيت)...»[3].

تقول الحداثية "**خالدة سعيد**" عن الحداثة الأوروبية: «تمثلت الحداثة الأوروبية منذ بدايتها في الصّراع مع المؤسسات ثمّ في مرحلة متأخرة مع التقاليد الأدبية مبادئ الحريّة والفردية والابتكار والعفوية»[4].

إنّها عندهم عبادة الجديد وتقديسه بشرط أن يكون مخالفًا للنّمطي والسائد والثّوابت القديمة.

وفي هذا يقول "**هنري لوفيفر**": «وقد ظهرت الحداثة، أي عبادة الجديد، من أجل الجديد وإرفاقه بنزوع صنْمِي... مع ظهور فكرة الأسلوب الجديد»[5].

فالحداثة تعني التطوّر التّاريخي والتبدّل الفكري الثّائر على ما سبقه من ثقافات ومبادئ، إنّها موقف معارض لجميع الحضارات السّابقة القائمة على ثوابت.

ويعرّف "**آلان تورين**" الحداثة: «... بالعقلنة، تظهر القطيعة الضّرورية مع غائية الفكر الدّيني الذي ينادي دائمًا بغاية التّاريخ، بالتحقيق التام لمشروع إلاهي أو باختفاء الإنسانية المنحرفة التي خانت رسالتها»[1].

---

(1) ديفيد هارفي: حالة ما بعد الحداثة بحث في أصول التغيّر الثّقافي، ترجمة: محمّد شيّا، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، أيار (مايو)، 2005م، ص 27.

(2) إبراهيم العريس: لغة الذّات والحداثة الدّائمة، ط1، سوريا، دار الثّقافة، 2006م، ص 73.

(3) المرجع نفسه، ص 26.

(4) محمّد بن عبد العزيز بن أحمد العلي: الحداثة في العالم العربي- دراسة عَقدية- بحث أعد لنيل درجة الدكتوراه، كلية أصول الدين بالرياض، قسم العقيدة و المذاهب المعاصرة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، م1 ، 1414هـ، ص 128.

(5) المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها.

ويقصد بذلك أنّ الحداثة– التي هي عقلنة وعلم وتكنولوجيا– لا يمكن ولا ينبغي أن تلتقي مع الدّين أو معتقداته، يقول: «إنّ أقوى تصوّر غريب للحداثة– التصوّر الذي كان له أعمق الآثار– قد أكدّ أنّ العقلنة تفرض هدم العلاقات الاجتماعية والعواطف والأعراف والمعتقدات التي تدعى تقليدية»[2].

ويقول "**أدونيس**" عن الحداثة الغربية بأنّها: تنفي« دور الوحي، ويؤكّد على استبعاد الدّين من أيّ حقل معرفي، وعلى بيان أنّه يستبعد الإنسان، ويُلغي دوره... ومن ثمّ تقوم قطيعة دائمة بين الدّين، والمنطق والوحي»[3].

إنّ الحداثة في نظر قادتها لها: «القدرة على الإتيان بكلّ ما هو مدمّر، إنّها رحلة إلى عوالم فنّية مجهولة، لا يمكن أن يكتب لها التّوفيق، إنّها أيضًا تصوّر عوالم تكتنفها المخاطر والكوابيس»[4].

هذه نماذج لآراء الغربيين حول مفهوم الحداثة ولو تتبعنا مفهومها عند الغربيين، وعند الحداثيين في العالم العربي لوجدنا المعنى واحدًا، والمفهوم متطابقًا، ولا عجب في ذلك فالحداثة في العالم العربي امتداد للعالم الغربي، يقول "**محمّد مصطفى هدَارة**": «ولا بدّ أن تقرّر منذ البداية أنّ الحداثة ارتبطت في نشأتها بالفكر الغربي، وهي تعبير عن التحوّل الحضاري في أوربا وأمريكا وواقعها التّاريخي، وأنّ العالم العربي لم يعرفها إلاّ من خلال استيراده الذي لا ينقطع لنظم الحياة الغربية»[5].

تعود كلمة **الحداثة (Modernité)** إلى القرن الخامس للميلاد، فكلمة **(Modernus)** اللاّتينية، التي تقابلها في اللّغة الفرنسية كلمة **(Moderne)**، ظهرت لأوّل مرّة «في آخر عشرية من القرن الخامس، خلال الفترة التي كان يتمّ فيها الانتقال من العصور الرّومانية العتيقة إلى عالم المسيحية الجديد»[6].

---

(1) جمال شحيدّ، وليد قصّاب: خطاب الحداثة في الأدب، الأصول والمرجعية، ط1، دمشق، دار الفكر، 1426هـ 2005، ص 127.

(2) المرجع السابق، ص 127.

(3) المرجع نفسه، ص 136.

(4) مالكم برادبري ، جيمس ماكفارلن: الحداثة (1890م- 1930م)، تر: مؤيد حسن فوزي ، د ط، بغداد، دار المأمون ، 1987م ، ص 27.

(5) محمد عابد الجابري : التراث والحداثة– دراسات ومناقشات– ، ط 1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1991م ، ص 02.

(6) المرجع نفسه ، ص 74.

فالحداثة في هذا الوقت كانت تقترن بالدّلالة الدّينية، حيث كانت تستعمل للدّلالة على الأوامر الكنسية المقرّرة من قبل المجامع الكنسية الرّومانية المتأخرة، لتمييزها عن القواعد القديمة...

وفي القرن السّادس للميلاد، اعتبر العديد من المعاصرين آنذاك أنّ الثّقافة الرّومانية واليونانية وجهاز الدّولة الرّوماني يعد من الماضي، كما يقول "**هابرماس**": «بهدف التمييز بين الرّوماني والوثني من جهة، والحاضر المسيحي الذي لم يكن قد مضى من طويل على الاعتراف به رسميًا من جهة أخرى»[1].

وفي القرن العاشر تطوّر هذا المصطلح وانتشر خلال عهد **الملك شرلمان** وأصبح يعني «تمييز الإمبراطورية العالمية الجديدة عن العهود الرّومانية القديمة»[2].

«وفي القرن الحادي عشر أُستخدمت في «مراسلة لمجمع كنسي»، وأرسلها "**غريغوري السابع**" إلى روما خلال سنة **(1075م)** للتذكير ببعض تعليمات الآباء التي تناساها النّاس في عصره»[3].

معنى ذلك أنّ الحداثة أخذت معنى تاريخيًا وهو الفصل بين حقبتين تاريخيتين الأولى نهاية العصور القديمة، أمّا الثّانية هي بداية الزّمن الحاضر الذي يسعى إلى إصلاح العصور القديمة.

أمّا القرن الثّالث عشر فرّقوا بين مصطلحي القديم والحديث «... وهكذا صارت كلمة القدماء تطلق على أولئك الذين يدرسون البرامج القديمة، أمّا المحدثون فهم أولئك الذين توالوا بعدهم وأدخلوا الفلسفة الأرسطية في البرامج التدريسية»[4].

أمّا الحداثة في القرن الرّابع عشر فقد ظهرت على شكل تغيير من النّاحية الاجتماعية من جهة وذلك من خلال تفكك البناء الإقطاعي للمجتمع الوسيط وتشكلّ طبقة قويّة من التجّار، ومن النّاحية السياسية بدأت طبقة النّبلاء تفقد حصانتها، نتيجة ظهور أسلحة جديدة، بعد اكتشاف البارود... [5].

ومنذ القرن الخامس عشر والسّادس عشر، أُستمدّ مفهوم الحداثة من التعارض بين المصطلحين القديم والحديث «... يزدادون قناعة بأنّهم يعيشون في عصر جديد شديد الإختلاف عن العصر الذي سبقه، أي عصر القرون الوسطى المسيحية وتراثه الكنسي، ومن هذا الجديد الأدبي والفنّي استمدّت الحداثة أحد مكوّناتها في

---

[1] محمد عابد الجابري : التراث والحداثة- دراسات ومناقشات ، ص 75.

[2] ينظر : المرجع نفسه ، ص 76.

[3] المرجع نفسه ، ص 78.

[4] المرجع نفسه ، ص 76.

[5] المرجع نفسه ، ص 78- 79.

القرنين الخامس والسّادس عشر، ودلّ به على التضاد الجديد بين مفهومين الحديث والقديم في مجال الفنّ والأدب»[1].

وفي القرنين السّابع والثّامن عشر ارتسمت معالم الحداثة بوضوح وشملت كلّ الميادين في الأدب والفنّ والعلوم من ناحية، والتمرّد على التراث من ناحية أخرى «الحداثة ترجمة تاريخية لإحساسهم الحادّ بحجم الهوّة التي تفصل وعيهم من مفكّري القرون الوسطى، كما يمكن اعتبار تطوّر الحركة العلمية وتبلور المنهج التجريبي قطيعة مع منطق أرسطو، ومع النّزعة التأملية التي طبعت العلم اليوناني»[2].

أمّا القرن التّاسع عشر فقد أُعتبر القرن الذي تبلور فيه مصطلح الحداثة، وأصبح متداولاً بالأقلام والألسن في أوروبا، يقول "**هابرماس**": «على الرّغم من أنّ الحداثة **(Modernité)** بوصفها... استخدمت، بالمعنى الزّمني، في وقت متأخّر من العصر القديم، فإنّ الصّفة "**حديث**" لم تتخذ شكلاً اسميًّا في اللّغات الأوروبية الحديثة إلاّ في زمن متأخرٍ جدًّا- منتصف القرن التاسع عشر- ولكن في مجال الفنون الجميلة»[3].

وهو التأريخ الذي يقوّمه "**هانز روبرت يوس**" بتفصيل أكثر، حيث يقول: «إذا ما أردنا تثبيت فترة لظهور مصطلح الحداثة فإنّها ستكون ثورة **1848م**، وهو ما يجعل الظّهور الجديد لهذا المصطلح،يسم بروزٍ وعي آخر للعالم، فكلمة حداثة قد برزت لأوّل مرّة سنة **1849م** في كتاب (Mémoires d'autre) ليتخذها "**بودلير**" علامة على ولادة جمالية جديدة، أمّا في ألمانيا فإنّ كلمة وفكرة **(Die moderne)** قد وصفتا كموضة سنة **1887م**، من قبل "**وولف**" الذي صاغ في محاضرة قدّمها في الجمعية البولونية "**دورش**"، عشر أطروحات جديدة لمبدأ الحداثة؛ وكان ذلك إعلانًا تبشيريًا بعهد فنّي جديد»[4].

أما الحداثة عند النّقاد العرب المحدثين فهي: «مذهب يسعى لهدم كلّ موروث والقضاء على كلّ قديم- إلاّ المظاهر الثورية والباطنية والفلسفية- والتمرّد على الأخلاق والقيم والمعتقدات»[5].

---

[1] ينظر : محمد عابد الجابري : التراث والحداثة- دراسات ومناقشات ، ص 77، 80.

[2] المرجع نفسه، ص 89.

[3] المرجع نفسه، ص 73- 74.

[4] يورغن هابرماس: القول الفلسفي للحداثة، ترجمة فاطمة الجيوشي، ط1، دمشق، منشورات وزارة الثقافة السورية، 1995م ، ص 17- 18.

[5] محمّد بن عبد العزيز بن أحمد العلي: الحداثة في العالم العربي- دراسة عَقدية- ، م1 ، ص 136.

إذن ليست الحداثة مقتصرة على الأشكال الأدبية والفنّية الظّاهرة فقط، بل هي في الحقيقة ثورة فكرية، وعقيدة جديدة، لها تصوّرها الخاص عن الإله والكون والإنسان والحياة.

يقول "**أدونيس**" عن الحداثة بأنّها: «رؤية جديدة، وهي جوهريًا، رؤيا تساؤل واحتجاج: تساؤل حول الممكن، واحتجاج على السّائد، فلحظة الحداثة هي لحظة التوتّر أي التناقض والتصادم بين البنى السّائدة في المجتمع، وما تتطلّبه حركته العميقة التغييرية من البنى التي تستجيب لها وتتلاءم معها»[1].

إنّ الحداثة لدى "**أدونيس**" تعتبر مفهومًا متبدّلاً متحرّكًا كحركة ثورية تغييرية، ذات طابع تغييري جذري لا مهادن، ينفصل عن القديم كليًّا ولا يتقاطع معه.

أمّا الحداثة عند "**عبد الله الغذامي**": «... من علامات تحضّر الأمّة أن يكون لديها أدب تتجدّد روحه مع تجدّد نسمات الصّباح، فكما أنّ النّسمة التي تهّب اليوم ليست هي النّسمة التي هَبت بالأمس... وذلك كي نثبت أنّ عقول الأمّة ما زالت معطاة، وأنّ معين إبداعها لم ينضب ولم يشحّ مكنونه»[2].

ولشدّة تمسك "**عبد الله الغذامي**" بالحداثة نجده يدافع- بكلّ قوّة- عن الحداثيين وينعتهم بحاملي الثّقافة، بينما يهاجم أصحابَ الفكر الأصيل ويطلق عليهم لفظ العموديين أو التقليديين[3].

ويقول الناقد"**جبرا إبراهيم جبرا**": «الحداثة هي أن تجد الطّريق لكي تكون مساهمًا فاعلاً في حضارة القرن، لذلك أنت مطالبٌ بالتمّرد، ومطالبٌ بأن يكون في تمّردك ما يستمّد بعض حيويته من جذورك وتضيف إليه من أصالتك المتجهة نحو زمانك فتصبح جزءً فاعلاً في عصرك... بحيث تكون انطلاقًا سهميًا لا دورانيًّا انكفائيًا»[4].

ومن هذا المنطلق يربط "**جبرا إبراهيم جبرا**" حركة الحداثة بالرّاهن والمعيش وليس بالمنقرض ، ففي هذه الحركة تمرّد على الماضي وتطعيمه بنسغ جديد في آن.

ويقول النّاقد "**عبد السّلام المسدّي**" عن الحداثة: «فالحداثة إذًا هي رؤية واعية لإقامة علاقات دائمة التجدّد، بين الظّرف الإنساني، وبين الجوهري الموروث، وذلك من أجل استمرار العلاقة الإبداعية للإنسان مع

---

[1] عبد الله الغذامي: تهافت النقد وقراءة التنميط والقصر، مجلّة نزوى ، د.ط ، عمان ، تصدر عن مؤسسة عمان للصّحافة والنّشر والإعلان ، 2009م ، العدد الثاني والثّلاثون، ص 09.

[2] عبد الله الغذامي: الموقف من الحداثة ومسائل أخرى ، ط 2، 1412هـ ، 1991م ، ص 19.

[3] عبد الله الغذامي : تشريح النّص، ط2، الدّار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي ، 2006م ، ص 11.

[4] المرجع نفسه – الصّفحة نفسها.

لغته التي سيكون صانعًا لها من خلال ما يضيفه إليها بديلاً من المتغيّرات المنقرضة، كما أنّ اللّغة صانعة له من خلال هيمنتها عليه بواسطة الثّوابت الجوهرية»[1].

فالحداثة تسعى إلى صقل الموروث، لتفرز الجوهري منه فترفعه إلى الزّماني، بعد أن تزيح كلّ ما هو وقتي.

ويواصل حديثه فيقول: «... لأنّ ما هو جديد اليوم- سيكون قديمًا في الغد ، والقديم- اليوم- كان جديدًا في زمنه، كما يقول "**ابن قتيبة**"... وكلّ ما هو حداثة اليوم أو أمس لن يصبح في الغدِ "**لا حداثة**"، ونقيض الحداثة ليس القِدم، ولكنّه السّكونية اللاّواعية، والحداثة- حينئذٍ- هي الفعل الواعي أخذًا بالجوهري الثّابت وتبديلاً للمتغيّر المتحوّل»[2].

إنّ الحداثة هي رؤية جديدة مخالفة للإعتقاد الصّحيح، إنّها تصور إلحادي و إنها تمرّد ورفض للعقيدة الإسلامية وما جاء به الوحي من الله تعالى ، يقول الناقد المصري "**غالي شكري**": «مفهوم الحداثة عند شعرائنا الجدد مفهوم حضاري، وهو تصوّر جديد للكون والإنسان والمجتمع، والتصوّر الحديث وليد ثورة العالم الحديث في كافة مستوياتها الاجتماعية والتّكنولوجية والفكرية»[3].

يقصد "**غالي شكري**" بالعالم الحديث ، الحضارة الغربية أي أنّ الشّعراء الجدد جاءوا بشعرهم- شكل ومضمون- مطابق لأحدث إنجازات هذه الحضارة في المجال الشّعري[4].

معنى هذا أنّ الحداثة عند "**غالي شكري**" هي ما كان مواكبًا للحضارة الغربية.

فالحداثيون يرون أنّه لا بدّ من الصّراع مع ما هو ثابت في أمور العقيدة، والشّريعة والأخلاق فالحداثة عندهم: «قول ما لم يعرفه موروثنا، أو هي قول المجهول من جهة، وقبول بلا نهائية المعرفة، من جهة ثانية»[5].

---

[1] عبد الله الغذامي : تشريح النّص ، ص 14.

[2] المرجع نفسه ، ص 15.

[3] محمّد بن عبد العزيز بن أحمد العلي: الحداثة في العالم العربي- دراسة عَقدية- م 1، ص 140.

[4] غالي شكري : شعرنا الحديث إلى أين؟ ، ط 3، دار الشروق الأولى ، 1991م ، ص 17- 18.

[5] أدونيس : الثابت والمتحوّل- بحث في الأتباع والإبداع عند العرب- الأصول، ط7، بيروت، دار السّاقي ، 1994م ، ج 1، ص 19.

يقول الناقد الجزائري "**محمّد أركون**": «في الواقع إنّ الإسلام نفسه كان يمثّل حداثة كلّ الحركات التّاريخية الكبرى كانت تمثّل الحداثة في عصرها، أمّا الآن فمما لا ريب فيه أنّ الإسلام قد أصبح يمثّل نوعًا من التراث، من التقليد، من تراكم المعارف، وتراكم المواقف الثقافية المكرورة »[1].

ويرى الناقد العراقي "**محمد تركي النّصار**" أنّ: «التمرّد على التراث فخر يستحق فاعله التّمجيد- الحداثة- »[2]

معنى هذا أنّ الحداثة تكون منافية للتراث: الحضارة العربية الإسلامية بكلّ ما يحترم فيها من ممارسات وعمليات ومشروعات إدارية، اقتصادية وزراعية، وصناعية وعمرانية وفيزيائية... والنّواحي الرّوحية الفكرية والفقهية واللّغوية[3].

عن طريق مجلّة شعر اللّبنانية، يقول "**عبد الحميد جيّدة**": «إنّ التنظير لحداثة الشّعر العربي المعاصر بدأ بعودة **يوسف الخال** من الولايات المتّحدة إلى بيروت، الذي قام عام **1956م** باتصالات عديدة مع العناصر الأدبية القادرة على الإسهام في خلق حركة شعرية حديثة، وقد تم التجمّع، وأعلن عن تأسيس مجلّة فصلية... وأصبح **يوسف الخال** نفسه رئيسًا لتحريرها...»[4].

في المغرب العربي بدأت ممهّدات الحداثة ومقدّماتها مع دعوات التجديد المنحرف في الثّقافة والفكر والأدب، وقد برزت تلك الدّعوات- بشكل أوضح- منذ سنة **1956م** مطالبة بتحديث القضايا الفكرية والاجتماعية والأدبية والسّياسية، ثائرة على القديم بأشكاله ومضامينه، متأثرة في ذلك بالاتجاهات الباطلة المنحرفة في أمريكا وروسيا، مفيدة من الحركات الثّورية في المشرق العربي وقد مثّل هذه الدّعوات مجموعة من شعراء بلاد المغرب أمثال: **أحمد المخاطي، محمّد السّرغيني ومحمّد الخمّار، ومحمّد الميموني، وأحمد الجوماري، وعبد الكريم الطبّال**[5]...

---

[1] محمّد بن عبد العزيز بن أحمد العلي: الحداثة في العالم العربي- دراسة عَقدية- م1، ص 160.

[2] المرجع نفسه ، ص 156.

[3] محمّد راتب الحلاّق: نحن والآخر دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث : الشرق/ الغرب* التراث/ الهوية* الممكن/ الواقع، د.ط، اتحاد كتاب العرب، 1997م ، ص 55.

[4] المرجع نفسه ، ص 484 .

[5] محمّد بن عبد العزيز بن أحمد العلي : الحداثة في العالم العربي- دراسة عَقدية- ،م2 ، ص 559.

يقول الحداثي المغربي "**محمّد بنيس**" بأنّ: «المعرفة الشّعرية لدى هذه المجموعة مكّنتهم رغم تفاوتها من ترسيخ قصيدة مغربية، نلمس فيها جرأة التّجريب، واقتحام الحدود، وافتتاح غرابة اللّغة أي الشّروع في ضرورة إعلان الانتماء للحداثة الشعرية، وهذا من بين ما ولّد انفصالاً نسبيًا بين الشّاعر والقارئ، على أنّ هذا الانفصال الضّروري هو الذي سمح بممارسة حقّ رؤية شعرية مغايرة في الوجود»[1].

أمّا البداية الحقيقية للحداثة هناك، فإنّها تؤرّخ بنهاية السّتينات، وبداية السّبعينات من القرن الميلادي العشرين، حيث «شرع ثلة من المفكّرين المغاربة في تحديد وبحث أسئلة مغايرة لأسئلة الغرب، فظهرت أعمال **عبد الله العروى، عبد الكريم الخطيبي** و**محمّد عابد الجابري**، وفي الوقت نفسه أخذت بعض الطّروحات الثّقافية التي تعيد قراءة الواقع الثّقافي في علاقته الجدلية المنشبكة مع الواقع السياسي- الاجتماعي تعبّر عن تواجدها، ولا شكّ أنّ تميّز هذه المرحلة بالأسئلة وبتعدّد المقاربات سمح للثّقافة الوطنية بالخروج من مرحلة القبول والرّضى، والشّروع في مغادرة الخطاب التعميمي.

وقد تمّ الاهتمام بالممارسة الثّقافية وفق وضوحٍ نظري يستهدف لدى **عبد الله العروى** نقد الفكر التقليدي السّائد كمقدمة لنقد الوضع الفكري العربي: دفعا بالصّراع الإيديولوجي نحو ضرورية واستمرارية وتجذر الحضور»[2].

وفي السّبعينات من هذا القرن الميلادي انتشرت الحداثة في المغرب العربي، وتلقّفها كثير من الشّباب الموجّهين المخدوعين:

يقول "**محمّد بنيس**": «وتكون السّبعينات فترة اتساع وتنوّع التجارب الشّعرية، وهي الأبعد مغامرة، تكاثر عدد الشّعراء الشّباب، وانطلق البحث عن خصوصية القصيدة المغربية ضمن القصيدة العربية بذائقة نقدية مرّة، وباحتضان دم وحيد مرّة أخرى، هنا نلتقي بجبل يحتمي بالرّفض، والمهاوي السحيقة، لكأنّ فترة السّبعينات تحوّلت إلى نار مقدّسة توقدها الشبيبة في أعضاء الكلمات، فتأتى القصيدة بحثًا مستمرًا عن أشكال لا مستقر لها، وها نحن الآن نستطيع إدراك الأثر الذي حفرته قصيدة السّبعينات في جسد الشّعر المغربي الحديث بعنف المساءلة وانتهاج طرائق غير مألوفة وفي التصوّرات الشّعرية السّائدة. أنتمي لهذا الجيل ، وإحساسنا بالانضغاط بين التقليد الشّعري العربي، وعدم التمكّن من حريّة اختراق الحلم الشّعري هو ما وحّد لغة التدّمير فينا»[3].

---

[1] محمّد بن عبد العزيز بن أحمد العلي : الحداثة في العالم العربي- دراسة عَقدية- ،م2 ، ص 559.

[2] المرجع نفسه ، ص 560.

[3] المرجع نفسه ، ص 561.

وإن كان الحديث فيما سبق عن المغرب فإنّ بقية دول المغرب العربي، كالجزائر، تونس مصر، لم تسلم من تيار الحداثة، وهذا ما بينه "**محمّد بنيس**" بقوله:

«ولا شكّ أنّ الشّعر المغربي الحديث يلتقي في هذا الوضع مع شعر بلدان المغرب العربي، وما يمكن تسميته بالمحيط الشّعري العربي، حيثما وجد في مشرق العالم العربي أو مغربه، وهو وضع تشرطه عوامل ثقافية- لغوية، كما تشرطه عوامل اجتماعية- تاريخية، لم ينج منه إلاّ شعراء نادرون، وفي طليعتهم الشّاعر التونسي الكبير **أبو القاسم الشّابي**»[1].

ثمّ تحدّث عن بعض عوامل انتشار الحداثة هناك قائلاً : «إنّ ما أصبح عليه الوضع الشّعري في المغرب العربي... لما لعبه الشّعر المغربي العربي باللّغة الفرنسية، والتفاعل الخصيب بين جيل السّبعينات والشعر الإنساني... ولاتساع وعمق الإتصال المباشر بين شعراء المشرق **كأدونيس**، و**محمود درويش**...».

وكذلك أفادت الحداثة في المغرب العربي من الإتجاهات الحداثية والفلسفية والغربية مباشرة عن طريق التّرجمة والهجرة نحوها[2] .

لقد ظل العرب يبذلون كل ما في وسعهم للترويج لمذهب الحداثة المنقول عن الغرب باعتبارها في زعمهم عند – عز الدين إسماعيل- " خروجا سافرا على تقاليد الشعر العربي المتوارثة، فكل العناصر التي بلورها القدامى في سبعة مبادئ تمثل ما يسمى «عمود الشعر» قد تهاوت في هذه التجربة، بل تحطم إطار القصيدة القديم إجمالا وتفصيلا، وكان ذلك كله سببا كافيا أمام النظرة السطحية لاتهام التجربة . الجديدة بالانفصال عن التراث ومحاولة قتله"[1].

معنى هذا أن الحداثة ا لشعرية عنده جاءت ضد التراث، والقطيعة معه.

"الحق أننا لا نستطيع أن نغفل لجوء بعض التيارات النقدية في أدبنا إلى اعتماد الإتجاهات الجاهزة هنا وهناك، كما لا نستطيع أن نغفل المبررات التي تسوقها هذه التيارات كأن يقال إنه يتعين علينا أن نستعين بأحدث

---

[1] محمّد بن عبد العزيز بن أحمد العلي : الحداثة في العالم العربي- دراسة عَقدية- ،م2 ، ص 562.

[2] المرجع نفسه ، ص 562- 563.

[1] عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المحاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط5، القاهرة، المكتبة الأكاديمية ،1994م ، ص 19- 20.

منجزات الحضارة في ذروة تألقها بالغرب، كما نفعل في بقية مجالات حياتنا الإجتماعية، وكذلك يمكن أن يقال أنه ينبغي أن نستمد من تراثنا كافة مقومات حياتنا المعاصرة" [1].

وهنا يتضح بأن هناك هوة كبيرة بين أدباء أوربا وأدبائنا لأن أوربا لا يعانون من هذه المشكلة لأن حاضرهم هو امتداد طبيعي لتراثهم، أما نحن فنعاني من ويلات الانتقال المفاجئ من حضارة العصر القديم إلى حضارة القرن العشرين مباشرة، وهذا ما أدى إلى "التمزق الروحي العميق في مجال الحياة الفكرية، ولهذا السبب نقرأ في أيامنا شعرا حديثا، وشعرا جاهليا في وقت واحد، ونلحظ انشطار بين الفن والنقد، كذلك سوف نكتشف هوة عميقة بين النص الأدبي والفني وبين الجمهور والمتلقي"[2].

وفي ظل هذا التمزق ظهر الشعر العربي الحديث وكأنه لقيط في ملجأ الأيتام.

وهذه المشكلة ترتبت عليها مشكلة أخرى، هل هذا يعني انه ليس لنا منهج في نقد الشعر الحديث؟ أم لنا منهج مأخوذ من الغرب؟ أم هناك محاولات نقدية عربية أرست لظهور هذا المنهج،

إنه لا يوجد منهج نقدي للشعر الحديث، "فالنقد عندنا ونقد الشعر خاصة، ما يزال حركة ناشئة، بلا أسس، لأن الشعر نفسه في حركة تطورية لم ترس بعد على أسس واضحة، ولذلك نلاحظ أن معظم النقد عبارة عن انطباعات شخصية مشوشة غامضة، فليس هناك مبادئ عامة موضوعية ولا وجهات نظر واضحة، ثم إن النقد ما يزال مطبوعا بطابع الجزئية، فهو لا ينظر إلى الأثر الأدبي ككل، بل يجزئه، فهو إما يتناول المضمون ... أو أنه يهتم بالشكل فقط وهو خطأ مماثل – إذ ما جدوى العناية بزخرفة ألفاظ دون معناها – أو أن يجتزئ الشكل والمضمون فينقد الأثر عبارة عبارة، كأن نقول : هذه الكلمة جميلة، وهذه الصورة جميلة، وتلك غير موفقة – وكأن هذه الأجزاء لا تتعاون وتتماسك في وحدة الأثر الفني"[3].

معنى هذا أننا لم نضع نظرية في الشعر الحديث ، لأننا مدركين أن الشعر في مرحلة تطور لا تتيح للباحث العلمي المدقق في أن يصوغ له بناء نظريا في الإبداع أو النقد على السواء، ونحن مدركين كذلك أن

([1]) غالي شكري: شعرنا الحديث إلى أين ؟ ، ص 130.

([2]) المرجع نفسه ، ص 131.

([3]) ينظر : المرجع نفسه ، ص 141 – 142.

الصياغة النظرية لهذا الشعر سوف يتسبب في تجميد انطلاقة هذه الحركة التي لم تستكمل بعد شروط نموها الطبيعي، ولم يتهيأ لها إلى الآن المناخ الصحي للنضج"[1].

ولا يغيب عن وعينا بأن هناك صعوبات أخرى تواجه النقد الحديث وأهمها:

- "عدم توافر النتاج الكافي الذي يفرض شخصيته الحديثة، ونجد بعض الشعراء لهم نتاج وفير ولكن قصائدهم غير حديثة.
- غموض مفهوم التراث، وغموض شخصية التراث، وطغيان الأفكار السياسية على المفاهيم الحضارية، وجعل الكتاب ينقسمون، فمن قائل بأن تراثنا يشمل فترة معينة، ومن قائل إنه بعيد الأغوار في تاريخ هذه البقعة من العالم، كل شاعر يعمل منفردا له تجاربه الخاصة، واتجاهه الخاص، فليس ما يجمع الشعراء الحديثين سوى فنية الجديد.
- في هذا الحشد من الشعر المزعوم حديثا كثير من القديم الدخيل الذي يدعي الحداثة لمجرد تلاعب جزئي بتوزيع الأشطر، بينما يحتفظ بنظرته القديمة إلى رسالة الشعر وإلى العالم"[2].

([1]) ينظر : غالي شكري : شعرنا الحديث إلى أين ؟ ص 141 - 142.

([2]) المرجع نفسه ، ص 141.

قائمة المراجع :

1 – إبراهيم العريس: لغة الذات والحداثة الدائمة ط1، سوريا، دار الثقافة 2006م.

2– أدونيس: الثابت والمتحول – بحث في الإبتاع والإبداع عند العرب – الأصول ط7 بيروت دار الساقي، 1994م.

3– جمال شحيد وليد قصاب: خطاب الحداثة في الأدب الأصول و المرجعية، ط1، دمشق، دار الفكر 1426هـ-2005م

4– حمد يوسف الزّومي: الحداثة والتحديث، مجلة عالم الفكر، د ط، الكويت، وكيل الوزراء المساعد لشؤون الثقافة والصحافة و الرقابة، وزارة الأعلام أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر 1988م،م التاسع عشر، ع.الثالث

وتأسيسا على ما تقدم، لا تزعم هذه الدراسة بأنها استطاعت استكناه كل خبايا "الحداثة "بل قصارى ما قامت به هو الوقف عند بعض مفاهيم الحداثة وأهم إشكالياتها ولكن يمكن إيجاز ما توصلت إليه إلى النتائج التالية :

- إن حداثة العالم العربي مستوردة من الحداثة الغربية .

- أن للحداثة دعاة وأتباع كثر، انتشروا في الدول العربية وتغلغلوا في كثير من المؤسسات والمراكز العلمية والثقافية .

- أن الحداثة اتصفت بالمخالفة والمناقضة لكل ما هو قديم أو سائد ومعروف، والراكد والمعروف .

- الحداثيون لا يرفضون كل قديم، وإنما يرفضون منه الثوابت والمسلمات .

- أن مصطلح الحداثة لم ينشأ طفرة واحدة، بل خضع إلى تطورات سواء الحداثة الغربية أو العربية.

5– لطفي فكري محمد الجودي: نقد خطاب الحداثة في مرجعيات التنظير العربي للنقد الحديث قراءة في تجربة الدكتور عبد العزيز حمودة المرايا المحدبة، المرايا المقعرة، الخروج من التيه نموذجا، ط1 مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة 1492هـ-2011م.

6– محمد عابد الجابري: التراث و الحداثة –دراسات ومناقشات – ط1، بيروت، مركز الدرسات الوحدة العربية 1991م.

7– عبد الله الغذامي: الموقف من الحداثة ومسائل أخرى، ط2، 1412هـ، 1991م.

8– عبد الله الغذامي: تشريح النص، ط2،الدار البيضاء، المغرب بيروت، المركز الثقافي العربي،2006م.

9– عبد السلام المسدي: النقد والحداثة، ط1، بيروت، دار الطليعة، 1983م.

10– عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه و ظواهره الفنية و المعنوية، ط5، القاهرة، دار المكتبة الاكادمية 1994م .

11– غالي شكري : شعرنا الحديث إلى أين؟ ط1،القاهرة، دار الشروق،1411هـ- 1991 م.

– أن الحداثة العربية تابعة للحداثة الغربية جملة وتفصيلا . ربما يكون بعض التغيير في المفهوم لأن الحداثة الغربية ترفض كل ما هو رجعي –العودة إلى الماضي– أما في المفهوم العربي نجد عكس ذلك فبعض النقاد يوصون بالتشبث بالموروث هذا هو الشيء الجديد الذي جاء به النقاد العرب المحدثين .

– أن حركة الشعر الحديث في بلادنا لا ترافقه حركة نقدية أي أنه لا يوجد منهج عربي في نقد الشعر الحديث وإنما يعتمد على الموائد الأوروبية والاتجاهات الجاهزة .

– إن مصطلح الحداثة لا يمكن تحديده وضبطه بمفهوم واحد وواضح يمشي عليه كل من أراد دراسة الحداثة، إنما هذا المصطلح لا زال وما يزال محط النقاش .

هذه كانت أهم النتائج التي وقفت عندها، مما لا شك فيه أنني قد تركت بعض النقاط التي لم أوفها حقها من البحث لأن مصطلح الحداثة كثير التفرعات والتشعبات وهو يحتاج إلى دراسات لربما نصل في المستقبل إلى شيء يؤطرها